

هل الأمريكيون مصريو الأصل؟

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

مصر نكتشف أمريكا — رسالة أهل مصر — أقدم حل
لمشكلة الماطلين — أقدم بحث في التاريخ — أول جامعة منفقة —
رحلة ينسها أحناف الأحناف

تقدم لنا العلوم بين آن وآن حقائق كنا نجهلها كل الجهل عن أثر قدماء المصريين في بناء المدنيات . ولشد ما كنا نمجّب حينما نتبثق من قبور أجدادنا الأقدمين أشعة من النور تبهّر العقول قبل الأبصار ، فترينا أن المدنيات التي قامت في العالم مدينة في كثير أو قليل لتنتجات عقول سكان مصر الأقدمين . واليوم نقف وبقية العالم في ذهول وحبيرة إزاء تلك الاكتشافات العديدة التي قام بها علماء العاديات وغيرهم في البلاد الأمريكية ، والتي تثبت أن أول من استوطن أمريكا هم المصريون . كذلك ثبت لبعض علماء الأجناس أن المصريين كانوا نواة لبعض فصائل من البشر . ولما كان بعض هذه الحقائق يستند إلى وثائق أثرية وآثار طبيعية يرجع عهد البعض منها إلى ما قبل التاريخ ، فعلمنا أن نلم إجمالاً بالتطورات التي حدثت بقدماء المصريين أن يسلكوا ذلك السبيل

بجزم كثير من علماء التاريخ القديم بأنه كان لمصر مدينة تفوق في تقدسها وازدهارها وشيوعها كل ما عداها من المدنيات . ومن الطبيعي أن هذه المدينة لم تكن إلا نتاجاً لسابق جهود تمت خلال عشرات الثّات من السنين واصل فيها شعب النيل الفكر والعمل مدفوعاً بقوة روحانية يستمدّها من مثله الأعلى الذي نصبه لنفسه ، والمائل في تهذيب الطبيعة لتجميل الحياة

ولا عجب أن تكون العظمة طابع تفكيره ، وهو الذي آلى على نفسه أن يهذب الطبيعة ويجميل الحياة ، إذ لا شيء أعظم من الطبيعة أو أشمل للحياة من الحياة . ولو أن هذا الشعب لم يتصدر لأعظم حل عمره التاريخ (وستمرك بك تفاصيله) ، ولم يبذل جهود الجسارة لتحقيقه ، ثم لم يظفر بيفيته منه ، لما كان أهلاً لرسالته

وكان المصريون بما لهم من عقول رياضية قد تحققوا أن هنالك

بلاداً شامسة غنية بخيراتها ، زاخرة بثروتها الطبيعية ، لازالت بكرها . فسموا إليها ليؤدوا رسالتهم فيها ؛ وكانت تلك البلاد هي التي أطلق عليها فيما بعد اسم « أمريكا » . وكان العلماء في مصر قدروا إذ ذاك موضع أمريكا تقديراً لا خطأ فيه ، بدليل أن المصريين في رحلتهم إلى تلك البلاد لم يضلوا الطريق في الوصول إليها ، ولم يتعلمهم صحارى ومجاهل آسيا . كذلك لم يقوم بلد كالمهندلوثيق مرفقهم أن الثروة الطبيعية في أمريكا أوفر منها في الهند وأعظم وكانت المدينة المصرية وصلت إلى حد عرفت فيه مشكلة البطالة ، وتكاثر في البلاد عدد الماطلين من العمال والفكرين . ولم يك ذلك إلا نتاجاً لسوء نظام الطبقات السائد إذ ذاك . وخشيت الطبقة الحاكمة أن يتصدى الماطلون لنظام الحكم والنظام الاجتماعي ، فأوعزت إلى العلماء بالدعاية لفكرة استغلال أغنى بقاع العالم : أمريكا . وكان الضيق قد حل بالماطلين من أبناء مصر فتقبلوا الفكرة ونظموا مجموعهم واستقر قرارهم على الرحيل إلى بلاد الأمل والرجاء ، وانتظم في سلك هذه الرحلة العمال والفلاحون والعلماء والفنانون — كل بدمته وأدائه . ولم تكن هذه الحملة قاصرة على جحافل من رجال أشداء ، بل كان الشيوخ والنساء والبنات والبنون ضمن عناصرها . وهذه الحملة أو البعثة الجامعة إلى الدنيا الجديدة كانت أشبه ما تكون بأمة كاملة تحمل في نفسها كل عوامل الحياة ووسائلها . وليس من المحتمل اليوم أن يجود التاريخ بعثة تماثلها من حيث التكوين أو العظمة أو الغرض . ولا بد لتنظيم هذه الرحلة والسهر على إبحارها من عقول راجحة قد يصعب علينا اليوم تصور جبروتها وعتوها . وكان على المحافظ التي تزح يومياً عن أرض النيل — وكلهم من الماطلين — أن تعمل منذ الساعة الأولى من الرحلة على الانتاج ، كل فيما اختص به . ولم يكن أساس حياتهم الجديدة حب الذات ، كما كان الحال في مصر ، بل كان التفاني في التضحية لخدمة المجموع رائد الكل ، فحل تعاون الجماعات محل الاستئثار ، وغلبت الأخوة بين الجميع على فوارق الطبقات ، وتمتع هؤلاء الرحل بحرية لم يعرفوا لها نظيراً على ضفاف النيل . وكان صدق حبهم وخالص نيهم في تحقيق حلمهم العظيم يفرهم بالتمادي في التضحية . ولا يمكننا اليوم ونحن في القرن العشرين وطرق المواصلات ميسورة وعديدة

الأثار الأمريكيون في القول بأن « الفريق الآخر الذي سار جنوباً اخترق بلاد المكسيك وأواسط أمريكا وأحراج إستموس في بناما . ثم تدرجوا إلى مجاهل أمريكا الجنوبية » . ومن أمد قريب رحل جماعة من علماء الأمريكان إلى بوليفيا لملهم يقفون على أثر للجماعات الرحل التي تقدمت التاريخ ، « هؤلاء الرحل الذين قدموا من وادي النيل قبل أن يقدم أمريكا بأجيال عدة قبائل الأنكاس » على حد تعبیرهم . وسرعان ما وفقت هذه البعثة في عملها ، فقد جاء في تقرير الأستاذ بنيت : « إننا وجدنا حول بحيرات تيتيكاكا في بوليفيا آثار مدنيات يرجع تاريخها إلى ما قبل عصر الأنكاس » . وجاء في هذا التقرير « وعلى مقربة من البحيرات وجدنا خرائب متفرقة . ولما أن كشفت عنها الأتربة ظهرت خمسة أبنية كانت على ما يظن معاهد دينية » . ولا زالت هذه البعثة مستمرة في أبحاثها . والاعتقاد السائد بين أفرادها أنها سوف توفق إلى اكتشاف مبان ومدافن أخرى يرجع عهداها إلى ما قبل التاريخ

كذلك وفق الأستاذ هردليكا إلى اكتشاف في كوبا يؤيد وجود اتصال ثقافي ومدني بين الشعوب القديمة والشعوب الشمالية في جزيرة كودياك وقبائل ماياس في أمريكا . ومن السلم به « أن جميع السكان الشماليين ومن بينهم الاسكيمووم من سلالات المنصر الذي نرح إلى البلاد الأمريكية عند بدء تميمها » . ولما أن وجد الدكتور هردليكا جمجمة في إحدى حفريات جزيرة كودياك مال إلى رأيه كثير من العلماء وهو « أن تلك الجمجمة هي صلة الوصل بين جميع هذه الأجناس البشرية التي عمرت أمريكا » . وهي جمجمة لرئيس قبيلة كما يزعم الدكتور هردليكا ، ويضيف إلى زعمه هذا أن أتباع هذا الزعيم اقتطعوا من لحمه حياً والتهموه التهاماً لفرط إعجابهم بكفائه وفضائله . وهذه المادة كانت متبعة إذ كان يأكل الأتباع سيدم وهو حي . وكذلك يفعلون مع زعيم أعدائهم اعتقاداً منهم أن مميزاته ومقدرته سوف تنقلص فيهم بعد أكل لحمه . وقد وجدت في جمجمة هذا الزعيم عين صناعية صنعت من سن الفيل وجملت الحدقة حجراً كريماً . وكانت قبائل الاستكن والملايس تصنع مثل ذلك إبان ازدهار حضارتها . وكان الدكتور بنيت أمضى عدة أسابيع

وأغلب البلاد مأهولة وعامرة ، تقدير المشاق التي عاناها أجدادنا في اجتياز تلك البقاع . ويرجع تدليل كل صعب انتابهم إلى الذهن المتقد وقوة الساعد والإيمان بصدق الرسالة . ولا شك أن المزمنة واطمئنان النفس كانت تتملك تلك الجماعات من الناس منذ بدء الرحلة التي قاموا بها ، فاخترقوا صحراء سينا إلى فلسطين فسوريا فتركيا فالعراق فبلاد الكرد فايران فالتركستان فشمال الهند ، ومنها إلى سهول وصحارى سيبيريا الشاسعة حتى ظهر لهم البحر . ولقد قاومت هذه الجماعات الجوع والمطش والقيظ والبرد والحيوانات المفترسة والطيور الجارحة والتوحشين من الهمج وتغلبت عليها جميعاً . بل لقد اجتازت مناطق لم يكن للبشرية فيها من أثر . ولما أن وصلوا إلى أبعاد تقطة من شرق آسيا أخذوا يصنعون الفلك الذي اجتاز بهم البوغاز المعروف باسم « طريق بيرنج » حتى وصلوا إلى شبه جزيرة السكا

ويقول الأستاذ الدكتور هردليكا مدرس علم الأجناس في معهد سميث سونيان بأمريكا : « إن الطارقين الأولين للعالم الجديدة أخذوا جزيرة كودياك قاعدة لهم وجعلوها مركز اتصال بين من تخلفوا منهم في آسيا ومن تقدموا منهم في أمريكا ؛ هؤلاء اجتازوا السكا ونزحوا إلى كولومبيا البريطانية فوليات واشنجنطن وأوريجون وكاليفورنيا الواقعة على المحيط الهادى . ولم يجد المصريون رواد أمريكا آدمياً واحداً أو أثراً لآدى ، ولكنهم وجدوا حيوانات سرّدة متوحشة يملوها الشمر الكثيف التهدل . ومن هذه الحيوانات المامونت والقبيلة المائية وغيرها مما كان يجتاز الأحراج والبرارى في تلك الأرض البكر »

ويسلم الباحثون بأن « رواد أمريكا الأول كانوا على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام والمخاطرة » « وأنهم انقسموا إلى فريقين : فالفريق الأول ذهب إلى الشرق ، والفريق الآخر اتخذ طريقه إلى جانب مجرى الأنهار الكبرى حتى وصل هؤلاء المصريون إلى المحيط الأطلنطى . وهكذا قطعوا ثلاثة آلاف من الأميال على أقل تقدير » . ويعمل العلامة الأستاذ بنيت عضو المعهد الأمريكى للباحث الخاصة بالهنود الحر إلى « أن المصريين لم يقفوا عند الشاطى بل ركبوا البحر حتى بلغوا الجزر التراامية في المحيط والمعروفة اليوم باسم جزائر الهند الغربية » . ويتفق علماء

وقد وجه السؤال التالى الى بعض الهيئات :

إذا كان حقاً أن المصريين عرفوا موضع أمريكا الجغرافى
وعلموا يتفوق ثروتها الطبيعية ، فلم لم يركبوا البحر اليها مباشرة
من شواطئ البحر الأحمر ؟

وما أيسر الجواب على ذلك . إن المسافر فى البحر خاصة فى
تلك السفن القديمة العهد ، كان مضطراً الى هجر صناعته وعدم
مزاولته لها ولكثير من دعائم الثقافة وأسس المدينة . وكيف
يزاول فى السفينة فلاحه الأرض وزراعتها ، ونحن نعلم أن
المدينة المصرية كان أساسها الزراعة ؟ وإذا كان هذا حال الفلاح
فكيف يكون حال أولاده وأحفاده . كذلك تدرى العلوم
والفنون أثناء سفر السفينة بعيد الاحتمال ، فلا يرجى للناسي أن
يقف على مدينة جديدة عليه أن يبينها من أساسها فى أرض
جديدة . والأمس الثانى كيف يجوز لهؤلاء الماطلين وهم جماعات
عدة أن يحصلوا على المواد الغذائية لمد طويلة قد تربو على العام ؟
ولو أن المصريين الأقدمين ركبوا البحر الى أمريكا لما وصلوا إلى
الدنيا الجديدة ولما وجدنا هناك أهراما وتماثيل ومباني تماثل
ما نراه على ضفاف النيل للمهود القديمة . أما وقد أنشأوا مدينة
جديدة فى أرض بكر ، وأدوا رسالتهم على الوجه الأكمل فأولى
بنا أن نقبس من روح نظام مجتمعتهم الذى مكنتهم من تحقيق
أكبر حلم عرف فى التاريخ

براهيم إبراهيم يوسف

مراجع البحث :

- 1) Hartman Pieper :
Die Gesetze der Welt geschichte : Aegypten
- 2) A Gessler :
Die aegyptische Fahrt nach Amerika

ظهر حديثاً كتاب

فى أصول الأدب

صناعات من الأدب الحى والآراء الجديدة

بقلم أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب
وثمنه ١٢ قرشا عدا أجرة البريد

فى أبحاثه بمدينة يناردل ريو من أعمال جزيرة كوبا فوجد فيها
عثر عليه مائتى معلقة من الحار وكثيرا من الطارق الحجرية والأواني
المتزلية المصنوعة من الخشب وغيرها من الأدوات التى تتمثل
فيها البساطة والظفرة . كذلك وجد فى هذه المدينة جمجمة يرجع
عهداها إلى ما قبل التاريخ . ويرى فيها الدكتور بنيت حلقة
الاتصال بين الهنود الحر الأول وسكان جزائر الأناطيل ،
وقد ثبت له كما ثبت لغيره من قبل أن موطن الآباء الأول للهنود
الحر من سكان أمريكا هو وادى النيل

ومما لا شك فيه أن رحلة الماطلين المصريين هذه إلى أمريكا
وكوبا وجزائر الهند الغربية دامت بضع مئات من السنين . وأن
عدداً من الأطنال ولدوا أثناء السفر وشبوا وعاشوا وماتوا على
بعد عشرات المئات من الأميال من الموضع الذى أبصروا فيه
لأول مرة نور العالم من دون أن يصلوا إلى أرض الأمل
والرجاء ، فورث الأبناء الرسالة وأخذوا على عاتقهم تحقيقها

وليس فى استطاعة أحفاد الأحفاد بناء مدينة فى أمريكا
تتبعه كل الشبه المدينة التى أقامها المصريون على ضفاف النيل مع
أهم لم يحظوا بالعيش فى مصر يوماً لغزقط ، فقد كان هؤلاء
الرحل من بدء ترحالهم إلى الدنيا الجديدة يمدون المدة لتوفير
أسباب اتمام المرحلة التالية . فإن وجدوا الأرض خصبة والماء
يسيراً زرعوا الللال والفاكهة والخضر والزهور وحلوا معهم
ما أرادوه ميرة لهم فى سفرهم . وكما أن بعضهم كان ينسج الصوف
والكتان وغيرها ملابس وأردية وخياماً ، كانت البعض
الآخر من أصحاب الحرف يلقت الصبغة صناعته . وكانت تمقد قبل
مسير كل يوم وفى الصباح من أيام الإقامة حلقات يدرس فيها
العلماء علمهم ويقدم فيها الفنانون تجاربهم . وكان لكل علم وفن
دراسات وحلقات وفصول أولية وإعدادية وعالية . فكانت كل
أنواع الثقافات المعروفة فى ضفاف وادى النيل تقدم دون تمييز إلى
كل الأفراد . وهكذا عرفوا كيف يضعون بين حياة الفطرة
وحياة أحفادهم سداً منيعاً . ولما كان لكل فرد فى القافلة حن
تلقن العلم ودرس الفن الذى يميل اليه أصبح الجميع أحرار
الفكر أحرار العمل ، خاصة وقد تخلصوا من سلطة رجال الدين .
وكان على طلبة الأمس أن يعلوا صبية وبنات اليوم . وهكذا
احتفظ بمستوى الثقافة